أغاني البراءة والتجربة

تأليف: ويليام بلايك

إعداد وضبط: مكتبة نوافذ الحكمة





شعار المكتبة التي قامت بتنقيح الكتاب

تاريخ نشر الكتاب بالعربية: 2025/ تاريخ نشر القصائد: 1789-1794 ميلادي

مقدمة المنقح:

هذه أشعار الشاعر الإنجليزي المشهور ويليام بلايك، وهي أشعار تلامس الشعور الإنساني أكثر مما هي أشعار ملحمية أو بطولية.

زيد نائل العدوان (القائم على المكتبة)

للتواصل: zaidadwan@gmail.com

مقدمة

أعزف في الوديان البرية

أغني أناشيد البهجة المبهجة

على سحابة رأيت طفلاً.

وقال لي ضاحكاً:

أعزف أغنية عن حمل:

فعزفتُ بفرحٍ مُبهج،

يا عازف العود، عزفتُ تلك الأغنية مجدداً-

فعزفتُها، بكى لسماعها.

أسقط عودك، يا عازف العود السعيد

غنِّ أغانيك بفرحٍ مُبهج،

فغنَّيتها مجدداً

بينما بكى فرحاً لسماعها.

يا عازف العود، اجلس واكتب

في كتابٍ يقرأه الجميع-

فاختفى عن نظري،

وقطفتُ قصبةً مجوفةً.

وصنعتُ قلماً ريفياً،

وصبغتُ الماءَ صافياً،

وكتبتُ أناشيدي السعيدة،

ليفرح كل طفلٍ بسماعها.

الراعي

ما أعذب حظ الراعي،

من الصباح إلى المساء يضل طريقه:

يتبع خرافه طوال اليوم

ولسانه يمتلئ تسبيحًا.

لأنه يسمع نداء الحملان البريء.

ويسمع رد النعاج الرقيق.

يسهر عليهم وهم في سلام،

لأنهم يعرفون متى يقترب راعيهم.

صدى الأخضر

تشرق الشمس، وتُبهج السماء.

تدق الأجراس المبهجة،

مرحبةً بالربيع.

يُغني طائر القبرة والدُقاق،

وتُغرّد طيور الأدغال بصوتٍ أعلى،

مع صوت الأجراس المُبهج،

بينما تُرى ألعابنا

على صدى الأخضر.

يضحك جون العجوز ذو الشعر الأبيض

ليُبعد الهموم،

جالسًا تحت شجرة البلوط،

بين العجائز.

يضحكون على لعبنا،

ويقولون جميعًا:

هكذا كانت الأفراح،

عندما كنا جميعًا فتياتٍ وأولادًا،

في شبابنا، نُرى،

على صدى الأخضر. حتى يتعب الصغار

لا يمكن أن يكون هناك المزيد من المرح

تغرب الشمس،

وتنتهي رياضتنا:

حول أحضان أمهاتهم،

كثير من الأخوات والإخوة،

مثل الطيور في أعشاشها،

جاهزون للراحة:

ولا يُرى المزيد من المرح،

على الأخضر الداكن.

الحمل

أيها الحمل الصغير الذي خلقك

هل تعلم من خلقك؟

أحياك وأمرك أن تطعم،

بجانب الجدول وفوق المرج؛

أعطاك لباسًا من البهجة،

أنعم ثوبًا صوفيًا لامعًا؛

أعطاك صوتًا رقيقًا،

جعل كل الوديان تفرح:

أيها الحمل الصغير الذي خلقك

هل تعلم من خلقك؟

أيها الحمل الصغير سأخبرك،

أيها الحمل الصغير سأخبرك؛

يُدعى باسمك،

لأنه يُسمي نفسه حملًا:

إنه وديع وهو لطيف،

صار طفلًا صغيرًا:

أنا طفل وأنت حمل،

نحن نُدعى باسمه.

يا حمل صغير، باركك الله،

يا حمل صغير، الله

الصبي الأسود الصغير

ولدتني أمي في البرية الجنوبية،

وأنا أسود، لكن يا إلهي! روحي بيضاء،

أبيض كالملاك الطفل الإنجليزي:

لكنني أسود كما لو كنت محرومًا من النور.

علمتني أمي تحت شجرة

وجلست في جوف النهار،

وأخذتني في حضنها وقبلتني،

وبدأت تقول مشيرةً إلى الشرق:

انظر إلى شروق الشمس: هناك يحيا الله

ويمنح نوره، ويمنح دفئه.

وتجد الأزهار والأشجار والوحوش والبشر

العزاء في فرح الصباح في ظهيرة النهار.

ولقد وُضعنا على الأرض مساحة صغيرة،

لنتعلم تحمل أشعة الحب.

وهذه الأجساد السوداء وهذا الوجه المحترق من الشمس

ليسا إلا سحابة، كغابة ظليلة.

فعندما تعتاد أرواحنا على تحمل الحر،

تتلاشى السحابة، سنسمع صوته،

قائلا: اخرجوا من البستان يا حبي وعنايتي،

وحول خيمتي الذهبية كالحملان تفرح.

هكذا قالت أمي وقبلتني.

وهكذا أقول للصبي الإنجليزي الصغير.

عندما أتحرر من الأسود وهو من الأبيض،

وحول خيمة الله كالحملان نفرح:

سأظلله من الحر حتى يحتمل،

ليتكئ فرحًا على ركبة أبينا.

وعندها سأقف وأداعب شعره الفضي،

وأكون مثله، وسيحبني حين

الزهرة

عصفور مرح

تحت أوراق خضراء

زهرة سعيدة

تراك سريعًا كالسهم

أبحث عن مهدك الضيق

قرب صدري.

يا طائر روبن الجميل

تحت أوراق خضراء

زهرة سعيدة

تسمعك تبكي بشدة

يا طائر روبن الجميل

قرب صدري

كناس المداخن

عندما توفيت أمي كنت صغيرًا جدًا،

وباعني أبي ولساني لا يزال يبكي.

لذا أكنس مداخنكم، وفي السخام أنام.

هناك توم داكر الصغير، الذي بكى عندما حُلق رأسه

ذاك الخصلة كظهر الحمل، فقلت:

اصمت يا توم، لا تهتم، فعندما يكون رأسك عاريًا،

أنت تعلم أن السخام لا يفسد شعرك الأبيض.

وهكذا سكت، وفي تلك الليلة تحديدًا،

بينما كان توم نائمًا، رأى مشهدًا رائعًا،

أن آلافًا من الكنّاسين - ديك، وجو، ونيد، وجاك

كانوا جميعًا محتجزين في توابيت سوداء،

وظهر ملاك بمفتاح لامع،

ففتح التوابيت وأطلق سراحهم جميعًا.

ثم في سهل أخضر، يركضون قافزين ضاحكين

ويغتسلون في نهر، ويتألقون في الشمس. ثم عراة وبيض، تركوا حقائبهم خلفهم،

يصعدون فوق السحاب، ويلعبون في الريح.

وقال الملاك لتوم، لو كان ولدًا صالحًا،

لكان الله أباه ولن ينقصه الفرح أبدًا.

وهكذا استيقظ توم، واستيقظنا في الظلام

وذهبنا بحقائبنا وفرشنا إلى العمل.

مع أن الصباح كان باردًا، كان توم سعيدًا ودافئًا.

فإذا قام الجميع بواجبهم، فلا داعي للخوف من الأذى.

الطفل الصغير الضائع

أبي، أبي، إلى أين أنت ذاهب؟

لا تمشِ بهذه السرعة.

كلم أبي، كلم ابنك الصغير.

وإلا سأضيع.

كان الليل مظلمًا، ولم يكن هناك أب.

كان الطفل مبللًا بالندى.

كان الوحل عميقًا، وبكى الطفل.

وتطاير البخار بعيدًا.

العثور على الصبي الصغير

الطفل الصغير الضائع في المستنقع المنعزل،

يقوده ضوءٌ خافت،

يبدأ بالبكاء، لكن الله قريبٌ جدًا،

يبدو كأبيه في البياض.

يقبّل الطفل ويقوده بيده

ويحضره إلى أمه،

التي شحبت في حزنها، عبر الوادي المنعزل

يبحث عن ابنها الصغير الباكي.

أغنية ضاحكة

عندما تضحك الغابات الخضراء بصوت الفرح

ويجري الجدول المتلألئ ضاحكًا،

عندما يضحك الهواء بضحكاتنا المرحة،

ويضحك التل الأخضر بضجيجه.

عندما تضحك المروج بخضرتها النابضة بالحياة

ويضحك الجندب في المشهد البهيج،

عندما تغني ماري وسوزان وإميلي،

بأفواههن المستديرة الحلوة "ها، ها، هو."

عندما تضحك الطيور المرسومة في الظل

حيث تُفرش مائدتنا بالكرز والمكسرات

تعالَ عش وافرح وانضم إليّ،

لنغني جوقة ها، ها، هي العذبة.

أغنية المهد

تشكّل الأحلام الجميلة ظلاً،

على رأس طفلي الحبيب.

أحلام جميلة بجداول مُبهجة،

بجانب أشعة القمر الصامتة السعيدة

نوم جميل بزغب ناعم،

انسج تاجًا من حاجبيك.

نوم جميل أيها الملاك اللطيف،

يحوم فوق طفلي السعيد.

ابتسامات جميلة في الليل،

تحوم فوق سعادتي.

ابتسامات جميلة ابتسامات الأمهات

يُخدع كل الليل الطويل.

أنين جميل، تنهدات كالحمام،

لا تُطرد النوم من عينيك،

أنين جميل، ابتسامات أحلى،

يُخدع كل أنين كالحمام.

نم نم يا طفل سعيد.

نام كل الخليقة وابتسم. نم نومًا هانئًا،

بينما أمك تبكي عليك

يا حبيبي الحبيب في وجهك،

يا صورتي المقدسة التي أستطيع تتبعها.

يا حبيبي الحبيب الذي كان يومًا ما مثلك،

يا خالقك الذي بكى عليّ

يا بكى عليّ من أجلك من أجل الجميع،

عندما كان رضيعًا صغيرًا.

يا صورته التي تراها دائمًا.

يا وجهًا سماويًا يبتسم لك.

يا من ابتساماتك من أجلي من أجل الجميع،

يا من أصبح رضيعًا صغيرًا،

ابتسامات الرضيع هي ابتساماته،

يا من تسحر السماء والأرض بالسلام.

الصورة الإلـهية

إلى الرحمة والشفقة والسلام والمحبة،

يا من يدعو في ضيقهم:

يا من يردّ لهم شكرهم على هذه الفضائل المفرحة.

يا من الرحمة والشفقة والسلام والمحبة،

يا من الله أبونا العزيز:

يا من الرحمة والشفقة والسلام والمحبة،

يا من الإنسان ابنه ورعايتنا.

لأن للرحمة قلبًا بشريًا، وللشفقة وجهًا بشريًا، وللحب هيئة إلهية، وللسلام هيئة بشرية.

فكل إنسان، من كل زمان، يدعو في ضيقه، يدعو إلى هيئة إلهية.

الحب والرحمة والشفقة والسلام.

وعلى الجميع أن يحبوا هيئة الإنسان، سواء كانوا وثنيين أو أتراكًا أو يهودًا.

حيث تسكن الرحمة والحب والشفقة،

هناك يسكن الله أيضًا.

خميس الأسرار

كان يوم خميس الأسرار، وجوههم البريئة نقية.

الأطفال يمشون اثنين اثنين متشبثين بالأحمر والأزرق والأخضر. سارت أمامهم خرزات رمادية الرأس بعصي بيضاء كالثلج.

حتى قبة بولس العالية تتدفق مثل مياه نهر التايمز.

يا له من حشد بدت عليه هذه الزهور من مدينة لندن.

جالسين في جماعات، يجلسون بإشراق خاص بهم.

كان هناك همهمة الحشود، لكن حشودًا من الحملان.

آلاف الصبية والفتيات الصغار يرفعون أيديهم البريئة.

الآن، كريح عاتية، يرفعون إلى السماء صوت الغناء.

أو كأصوات الرعد المتناغمة، مقاعد السماء بين.

تحت يجلس الشيوخ الحكماء، حراس الفقراء.

ثم احترموا الشفقة؛ لئلا تطرد ملاكًا من بابك

الليل

الشمس تغرب في الغرب،

نجم المساء يضيء،

الطيور صامتة في أعشاشها،

ويجب أن أبحث عن أعشاشي،

القمر كزهرة،

في كوخ السماء العالي؛

ببهجة صامتة،

يجلس ويبتسم في الليل.

وداعًا أيتها الحقول الخضراء والبساتين السعيدة،

حيث استمتعت القطعان؛

حيث قضمت الحملان، خطوات صامتة

أقدام الملائكة مشرقة؛

في الخفاء يسكبون البركة،

والفرح بلا انقطاع،

على كل برعم وزهرة،

وعلى كل حضن نائم.

ينظرون في كل عش طائش،

تُغطى العروش بالدفء؛

تزور كهوف كل حيوان،

ليحفظوها من الأذى:

إن رأوا أي وحش يبكي،

كان ينبغي أن يكون نائمًا

يسكبون النوم على رؤوسهم

ويجلسون عند فراشهم.

عندما تعوي الذئاب والنمور طلبًا للفريسة

يقفون باكين بشفقة؛

يحاولون إبعاد عطشهم،

ويمنعونهم من الغنم،

ولكن إن اندفعوا بوحشية؛

الملائكة الأكثر يقظة،

يستقبلون كل روح وديعة،

عوالم جديدة ليرثوها.

16

وهناك ستفيض عيون الأسود الحمراء بدموع من ذهب:

وتشفق على صرخات الحنان،

وتطوف حول الحظيرة:

قائلين:

بفضل تواضعه

وبفضل صحته، يُطرد المرض،

من يومنا الخالد.

والآن بجانبك أيها الحمل الثغائي،

أستطيع أن أستلقي وأنام؛

أو فكّر في من حمل اسمك،

ارع خلفك وابك.

لأني، وقد غُسلت في نهر الحياة،

سيُشرق شعري اللامع إلى الأبد كالذهب،

الربيع

اعزف على الناي!

الآن أصبح صامتًا.

تُبهج الطيور

ليلًا ونهارًا.

العندليب

في الوادي

قبرة في السماء

بمرح

بمرح، مُرحّبًا بقدوم العام

صبي صغير

مليئًا بالفرح.

بنت صغيرة

حلوة وصغيرة.

يصيح الديك

وكذلك تفعل.

صوت مرح

ضجيج رضيع

بمرح، مُرحّبًا بقدوم العام

خروف صغير

ها أنا ذا،

تعالَ والعق

رقبتي البيضاء.

دعني أسحب

صوفك الناعم.

دعني أقبّل

وجهك الناعم.

بمرح، بمرح نرحب بالعام الجديد

أغنية الممرضة

عندما تُسمع أصوات الأطفال على العشب

ويُسمع ضحكهم على التل،

يرتاح قلبي في صدري

وكل شيء آخر ساكن

ثم عودوا إلى المنزل يا أولادي، فقد غربت الشمس

ويشرق ندى الليل

تعالوا، تعالوا، اتركوا اللعب، واتركونا نذهب

حتى يطلع الصباح في السماء

لا، دعونا نلعب، فما زال النهار

ولا نستطيع النوم

إلى جانب ذلك، تحلق الطيور الصغيرة في السماء

والتلال مغطاة بالأغنام

حسنًا، اذهبوا والعبوا حتى يتلاشى الضوء

ثم عودوا إلى المنزل إلى الفراش

قفز الصغار وصاحوا وضحكوا

وتردد صدى كل التلال

فرحة الرضيع

ليس لدي اسم

عمري يومان فقط- .

ماذا أسميك؟

أنا سعيد

فرح هو اسمي،

ليحل عليك فرح جميل!

يا لها من فرحة!

فرحة عذبة، لكن عمرها يومان.

يا فرحة عذبة، أناديكِ:

تبتسمين.

أغني لكِ في حينه

يا فرحة عذبة تحل بكِ.



حلم

ذات مرة نسج حلم ظلاً،

على فراشي الذي يحرسه الملائكة،

أن إيميت ضل طريقه

حيث ظننتُ أنني مستلقي على العشب.

مضطرب، بري، بائس

مظلم، مثقل بالسفر،

فوق رذاذ متشابك،

سمعتها تقول بقلب مكسور.

يا أبنائي! هل يبكون؟

هل يسمعون تنهد أبيهم؟

الآن ينظرون إلى الخارج ليروا،

الآن يعودون ويبكون عليّ.

دمعت عيناي شفقًا:

لكنني رأيت دودة متوهجة قريبة:

التي أجابت: يا له من ضوء عويل

ينادي حارس الليل.

أنا مستعد لإضاءة الأرض،

بينما تدور الخنفساء:

اتبع الآن همهمة الخنافس،

يا أيها المتجول الصغير، عد إلى منزلك.

٢١

عن حزن غيري

هل أستطيع أن أرى حزن غيري،

ولا أحزن عليه أيضًا؟

هل أستطيع أن أرى حزن غيري،

ولا أبحث عن راحة كريمة؟

هل أستطيع أن أرى دمعة تتساقط،

ولا أشعر بأحزاني تشاركني إياها؟

هل يستطيع الأب أن يرى طفله،

يبكي، ولا يغمره الحزن؟

هل تستطيع الأم أن تجلس وتسمع،

أنين الرضيع وخوفه-

لا، لا، أبدًا.

لا، أبدًا.

هل يستطيع من يبتسم للجميع

أن يسمع طائر النمنمة بأحزانه الصغيرة،

أن يسمع حزن الطيور الصغيرة وهمومها

أن يسمع آلام الرضع-

ولا يجلس بجانب العش

يسكب الشفقة على صدورهم.

ولا يجلس المهد بالقرب من

دمعة باكية على دمعة الرضيع.

ولا يجلس ليلًا ونهارًا،

يمسح دموعنا.

لا، لا، أبدًا.

لا، أبدًا.

إنه يمنح فرحه للجميع. يصبح رضيعًا صغيرًا. يصبح رجل حزن. يشعر بالحزن أيضًا. لا تظن، يمكنك أن تتنهد تنهيدة، وصانعك ليس بقربه.

لا تظن، يمكنك أن تبكي دمعة، وصانعك ليس بقربه.

يا له من فرح يمنحنا،

ليُبدد حزننا

حتى يرحل حزننا ويذهب. يجلس بجانبنا ويئن.

أغاني التجربة

مقدمة

اسمع صوت الشاعر!

يا من يرى الحاضر والماضي والمستقبل

يا من سمعت آذانه،

الكلمة المقدسة،

التي سارت بين الأشجار العتيقة.

تنادي الروح المتساقطة

وتبكي في ندى المساء:

التي قد تُسيطر على

القطب النجمي:

ويتجدد نورها الساقط!

يا أرض يا أرض عودي!

انهضي من العشب الندي؛

الليلُ مُنهَك، والصباحُ يُنْبِضُ من الكَوْنِ النائم.

لا تُبْعِد النظرَ بعد الآن:

لِمَ تُبْعِد النظر؟

الأرضُ المُرَصَّعةُ بالنجوم

الشاطئُ المُبَارِي

مُهْلٌ لَكَ حَتَّى بُزُوغِ النَّهَارِ.

جوابُ الأرضِ

رفعت الأرضُ رأسَها،

من الظلامِ المُرْهِبِ الكئيب،

هربَ ضوؤُها:

رُعبٌ حَجَرِيّ!

وغطَّى يأسُها الرماديُّ خُصُولُها.

سجينٌ على الشاطئِ المُبَارِي

الغيرةُ المُرَصَّعةُ بالنجومِ تُبقي عُريني

باردًا وشَحْبًا

أبكي

أسمعُ أبا القَدَماءِ

أبا البَشَرِ الأنانيّ

الخوفُ الأنانيُّ الغيورُ القاسي

يستطيعُ أن يُبهجَ

مُقيَّدًا بالليلِ

تَنبُتُ عذارى الصِّبا والصباح.

هل يُخفي الربيعُ فرحَه؟

عندما تنمو البراعمُ والأزهار؟

هل يزرعُ الزارعُ؟

في الليلِ؟

أم الفلاح في محراث الظلام؟

اكسر هذه السلسلة الثقيلة،

التي تُجمّد عظامي

أناني! مغرور!

لعنة أبدية!

ذلك الحب الحرّ المقيد بالعبودية.

الطين والحصاة

الحب لا يسعى لإرضاء نفسه،
ولا يهتمّ لذاته؛
بل يُعطي راحة لغيره،
ويبني جنة في جحيم اليأس.

هكذا غنت كتلة طينية صغيرة،
داستها أقدام الماشية؛
لكن حصاة من الجدول،
غرّدت من بين هذه الأمتار.

الحب لا يسعى إلا لإرضاء نفسه،
ليربط غيره بمتعته:
يفرح بفقدان غيره راحته،
ويبني جحيمًا في جحيم الكراهية.

خميس الآلام

هل هذا أمرٌ مقدس أن نرى،

في أرضٍ غنيةٍ ومثمرة،

أطفالًا يُجبرون على البؤس،

يُغذّون بأيدٍ باردةٍ مُرابية؟ هل هذه الصرخة المرتعشة أغنية؟

هل يمكن أن تكون أغنية فرح؟

وأطفال فقراء كُثر؟

إنها أرض فقر!

وشمسهم لا تشرق أبدًا.

وحقولهم كئيبة جرداء.

وطرقهم مليئة بالأشواك.

إنه شتاء أبدي هناك.

فحيثما تشرق الشمس،

وحيثما يهطل المطر:

لا يمكن للطفل أن يجوع هناك أبدًا،

ولا الفقر أن يُرعب القلب.

الفتاة الصغيرة الضائعة

في المستقبل

أرى نبوءةً،

أن الأرض من نومها،

)الجملة عميقة(

ستنهض وتبحث عن خالقها الوديع:

وستصبح البرية القاحلة

حديقةً هادئة.

في مناخ الجنوب،

حيث الصيف في أوج عطائه،

لا يذبل أبدًا؛

تربض ليكا الجميلة.

سبعة فصول صيف

قالت ليكا الجميلة،

لقد تاهت طويلًا،

تسمع تغريد الطيور البرية.

نوم هنيء يأتي إليّ

تحت هذه الشجرة؛

هل يبكي أبي وأمي؟

"أين تنام ليكا؟"

تائهة في البرية القاحلة

طفلتكِ الصغيرة.

كيف تنام ليكا،

وأمها تبكي؟

وإن حزن قلبها،

فلتُستيقظ ليكا؛

وإن نامت أمي،

فلن تبكي ليكا.

يا ليلٍ عابسٍ عابس،

فوق هذه الصحراء المضيئة،

فليشرق قمركِ،

بينما أُغمض عينيّ.

رقدت ليكا نائمة؛

بينما كانت الوحوش الجارحة،

تأتي من الكهوف العميقة،

ترى الفتاة النائمة.

وقف الأسد الملك.

ورأت العذراء،

ثم قفزت حول

الأرض المقدسة:

تلعب الفهود والنمور،

حولها وهي راقدة؛

بينما كان الأسد عجوزًا،

يحني عرفه الذهبي،

ويلعق صدرها،

وعلى رقبتها،

من عينيه الملتهبتين،

انهمرت دموع الياقوت؛

بينما خلعت اللبؤة ثوبها النحيل،

وحملتا الفتاة النائمة عاريتين إلى الكهوف.

30

الفتاة الصغيرة التي وُجدت

طوال الليل في حزن،

يمضي والدا ليكا:

عبر الوديان العميقة،

بينما تبكي الصحاري.

متعبين ومتألمين

انطلق

أجشّ الصوت مع أنينٍ مُتقطع:

ذراعًا بذراع سبعة أيام،

سلكوا الطرق القاحلة.

سبع ليالٍ ينامون،

بين ظلالٍ عميقة:

ويحلمون برؤية طفلهم

جائعًا في البرية القاحلة.

شاحبًا في طرقٍ بلا دروب

تائه الصورة المُتخيلة،

جائعًا، باكيًا، ضعيفًا

بصرخةٍ جوفاءٍ مُثيرةٍ للشفقة

منبعثةً من قلقٍ،

تقف المرأة المُرتعشة،

بأقدامٍ من حزنٍ مُنهك؛

لم تستطع المضي قدمًا.

حملها بين ذراعيه،

مُدجّجًا بحزنٍ مُوجع:

حتى أمام طريقهم،

استقرّ أسدٌ رابض.

كانت العودة عبثًا،

سرعان ما حملهم عرفه الثقيل،

إلى الأرض؛

ثمّ تجوّل في المكان.

يشم فريسته، لكن مخاوفهم تهدأ،

عندما يلعق أيديهم:

ويقف بجانبهم صامتًا.

ينظرون إلى عينيه

ممتلئين بدهشة عميقة:

ويتعجبون،

ينظرون،

روحًا مُسلّحة بالذهب.

على رأسه تاج

على كتفيه،

ينساب شعره الذهبي.

ذهب كل همهم.

قال: اتبعوني،

لا تبكوا على الفتاة:

في أعماق قصري،

يرقد ليكا نائمًا.

ثم تبعوهم،

حيث قادتهم الرؤية:

ورأوا طفلهم النائم،

بين النمور البرية.

إلى هذا اليوم يسكنون

في وادٍ منعزل

ولا يخشون عواء الذئاب،

ولا هدير الأسود.

منظف المداخن

شيء أسود صغير بين الثلج:

يبكي، يبكي، يبكي، بنغمات من الحزن!

أين أبوك وأمك؟ ماذا تقول؟

كلاهما صعدا إلى الكنيسة ليصليا.

لأنني كنت سعيدًا في الخلنج،

وابتسمتُ بين ثلوج الشتاء:

ألبسوني ثياب الموت،

وعلموني أن أغني نغمات الويل.

ولأنني سعيد، وأرقص وأغني،

يظنون أنهم لم يُلحقوا بي أذى:

وذهبوا لتمجيد الله وكاهنه وملكه

الذين يصنعون جنة من بؤسنا.

أغنية الممرضات

عندما تُسمع أصوات الأطفال على العشب

وتتردد الهمسات في الوادي:

تشرق أيام شبابي منتعشة في ذهني،

ويتحول وجهي إلى أخضر شاحب.

ثم عودوا إلى المنزل يا أولادي، فالشمس قد غربت

وتشرق ندى الليل

ربيعكم ونهاركم قد ضاعا في اللعب

وشتاؤكم وليلكم متنكرين.

الوردة المريضة

يا وردة، أنتِ مريضة.

الدودة الخفية، التي تطير في الليل، في العاصفة العاتية: قد وجدت فراشك، من الفرح القرمزي: وحبه السري المظلم، هل يدمر حياتك.

الذبابة

يا ذبابة صغيرة

يا صيفكِ يلعب،

يا يدي الطائشة

قد أبعدت.

ألستُ

ذبابةً مثلكِ؟

أم لستِ

إنسانًا مثلي؟

لأني أرقص

وأشرب وأغني:

حتى تمسّ يدٌ عمياء

جناحي.

إذا كان الفكر حياةً

وقوةً ونفسًا

وغياب الفكر موتًا؛

فأنا إذن

ذبابةٌ سعيدة،

إن عشتُ،

أو متُّ.

الملاك

حلمتُ حلمًا! ماذا يعني؟

وأنني كنتُ ملكةً عذراء:

يحرسني ملاكٌ لطيف:

ولم أُخدعْ بويلٍ طائش!

وبكيت ليلًا ونهارًا

ومسح دموعي

وبكيت ليلًا ونهارًا

وأخفيت عنه سرور قلبي

فأخذ جناحيه وهرب:

ثم احمرّ الصباح خجلاً:

جففت دموعي وسلّحت مخاوفي،

بعشرة آلاف درع ورمح.

سرعان ما عاد ملاكي:

كنت مسلّحًا، لكنه عاد عبثًا:

لأن زمن الشباب قد ولّى

وكان الشيب على رأسي

النمر

النمر، يحترق ببراعة،

في غابات الليل؛

أي يد أو عين خالدة،

يمكنها أن تُشكّل تناسقك المخيف؟

في أي أعماق أو سماء بعيدة،

أشعلت نار عينيك؟

على أي أجنحة يجرؤ على الطموح؟

أي يد، تجرؤ على الاستيلاء على النار؟

وأي كتف، وأي فن،

يمكنهما أن يثنيا أوتار قلبك؟

وعندما بدأ قلبك ينبض،

أية يدٍ مُرعبة؟ وأية قدمين مُرعبتين؟

أية مطرقة؟ ما السلسلة؟

في أي فرنٍ كان عقلك؟

أية سندان؟ ما قبضة مُرعبة،

تجرؤ أهوالها القاتلة على الإمساك بها؟

عندما ألقت النجوم رماحها

وسقّت السماء بدموعها:

هل ابتسم ليرى عمله؟

هل خلقك من خلق الحمل؟

نمرٌ مُتوهج،

في غابات الليل:

أية يدٍ أو عينٍ خالدة،

تجرؤ على تشكيل تناسقك المُخيف؟

شجرة وردتي الجميلة

قُدّمت لي زهرة:

زهرةٌ لن تُثمرها مايو أبدًا.

لكنني قلتُ إن لديّ شجرة وردٍ جميلة،

ومررتُ الزهرة الجميلة.

ثم ذهبتُ إلى شجرة وردتي الجميلة:

لأرعاها ليلًا ونهارًا.

لكن وردتي انصرفت بغيرة:

وكانت أشواكها متعتي الوحيدة.

آه! دوار الشمس

آه يا دوار الشمس! يا من سئمت الزمن،

يا من تحسب خطوات الشمس:

تبحث عن ذلك المناخ الذهبي العذب،

حيث تنتهي رحلة المسافرين.

حيث ذبلت رغبة الشباب،

والعذراء الشاحبة المغطاة بالثلج:

انهضي من قبورهم وتطلّعي،

حيث ترغب دوار الشمس في الذهاب.

الزنبق

الوردة المتواضعة تُخرج شوكة:

الخروف المتواضع، قرنٌ مُهدد:

بينما الزنبقة البيضاء، ستُسعد بالحب،

ولا شوكة ولا تهديد يُلطخ جمالها البهيّ.

حديقة الحب

ذهبتُ إلى حديقة الحب.

ورأيتُ ما لم أرَه قط:

بُنيت كنيسة في وسطها،

حيث اعتدتُ اللعب على العشب.

وأُغلقت أبواب هذه الكنيسة، وكتب على الباب "لا تفعل."

فالتفتُّ إلى حديقة الحب، التي أزهرت أزهارًا زكية،

ورأيتها مليئة بالقبور،

وشواهد القبور حيث ينبغي أن تكون الزهور:

وكان الكهنة في ثيابهم السوداء يطوفون،

ويربطون بالأشواك أفراحي ورغباتي.

المتشرد الصغير

أمي العزيزة، أمي العزيزة، الكنيسة باردة.

لكن حانة البيرة صحية وممتعة ودافئة:

إلى جانب ذلك، أستطيع أن أعرف أين أُعامل جيدًا.

لن يُجدي هذا المعامل نفعًا في الجنة أبدًا.

لكن لو أعطونا في الكنيسة بعض البيرة،

ونارًا مُبهجة، لتسلية أرواحنا:

لكنا سنُغني ونصلي طوال حياتنا:

ولن نرغب أبدًا في الابتعاد عن الكنيسة.

حينها قد يعظ القس ويشرب ويغني،

وسنكون في غاية السعادة كطيور الربيع:

وسوف لا تُرزق السيدة لورش المتواضعة، التي لا تفارق الكنيسة، بأطفالٍ عابثين، ولا صائمين، ولا مُحبّين للبتولا.

والله كأبٍ يفرح برؤية أطفاله سعداء وسعداء مثله:

لن يتشاجر مع الشيطان أو البرميل،

بل يُقبّله ويُعطيه الشراب واللباس.

لندن

أتجول في كل شارعٍ مُرخّص،

قرب حيث يتدفق نهر التايمز المُرخّص،

وأُميّز في كل وجهٍ أقابله

علامات ضعف، علامات حزن.

في كل صرخة رجل،

في كل صرخة خوف طفل،

في كل صوت؛ في كل حظر،

أسمع أصفادًا من صنع العقول

كيف يبكي منظفو المداخن

كل كنيسة مُظلمة تُفزع

ويتنهد الجنود التعساء

يجري دمها على جدران القصر

لكنني أسمع في أغلب شوارع منتصف الليل

كيف تلعن العاهرات الشابات

يُمزقن المواليد الجدد

ويُصبين بالطاعون نعش الزواج

الملخص الإنساني

لن تكون هناك شفقة،

لو لم نُفقر أحدًا:

ولن تكون هناك رحمة،

لو كان الجميع سعداء مثلنا:

ويجلب الخوف المتبادل السلام:

حتى تتزايد المحبة الأنانية.

حينها تُنصب القسوة فخًا،

وتنشر طُعمها بعناية.

يجلس بمخاوف مقدسة،

ويروي الأرض بالدموع:

حينها تتجذر التواضع

تحت قدميه.

سرعان ما ينشر ظل الغموض الكئيب فوق رأسه؛

واليرقات والذبابة،

تقتاتان على الغموض.

وتُثمر ثمرة الخداع،

حمراء وحلوة المذاق:

والغرابُ بنى عشه

في ظلها الكثيف.

آلهة الأرض والبحر،

بحثوا في الطبيعة عن هذه الشجرة

لكن بحثهم عبثًا؛

هنا ينمو واحدٌ في العقل البشري

45

حزنٌ رضيع

تئن أمي! بكى أبي.

إلى عالمٍ خطير

قفزتُ:

عاجزًا، عاريًا، أنادي بصوتٍ عالٍ:

كشيطانٍ مختبئٍ في سحابة.

أكافح بين يدي أبي:

أكافح ضدّ أقماطي:

مقيدًا ومتعبًا، ظننتُ أن من الأفضل أن أبكي على صدر أمي.

شجرة سامة

غضبتُ من صديقي:

بوحتُ بغضبي، فانتهت.

غضبتُ من عدوي:

لم أبح به، فاشتدّ غضبي.

وسقيتهُ بالمخاوف،

ليلاً وصباحاً بدموعي:

وأشرقتُ عليه بابتسامات،

وبحيلٍ ناعمةٍ خادعة.

ونمى ليلاً ونهاراً،

حتى أثمر تفاحةً مشرقةً.

ورآها عدوي تُشرق،

فعرف أنها لي.

وتسللتُ إلى حديقتي،

عندما حجب الليلُ العمود؛

وفي الصباح أرى فرحاً،

عدوي ممدوداً تحت الشجرة.

طفلٌ تائه

لا أحد يُحب غيره كنفسه

ولا يُكرم غيره هكذا،

ولا يُمكن لأحدٍ أن يعتقد

أنه أعظم من نفسه ليعرف:

وأبي، كيف يُمكنني أن أحبك،

أو أياً من إخوتي أكثر؟ أحبك كالعصفور الصغير الذي يلتقط الفتات من حول الباب.

جلس الكاهن وسمع الطفل،

وبحماسة مرتعشة أمسك شعره:

وقاده من معطفه الصغير:

وأعجب الجميع باهتمام الكاهن.

ووقف على المذبح العالي،

يا له من شيطان هنا! قال:

من يحكم بالعقل

في سرنا الأقدس.

لم يُسمع بكاء الطفل،

وبكى والداه الباكان عبثًا:

جردوه من ملابسه حتى قميصه الصغير،

وقيّدوه بسلسلة حديدية.

وأحرقوه في مكان مقدس،

حيث أُحرق كثيرون من قبل:

وبكى والداه الباكان عبثًا.

هل تُفعل مثل هذه الأشياء على شاطئ ألبيون؟

فتاة صغيرة ضائعة

يا أطفال عصر المستقبل،

يقرؤون هذه الصفحة الساخطة؛

اعلموا أنه في زمنٍ سابق، كان يُنظر إلى الحب! الحب العذب! على أنه جريمة.

في عصر الذهب،

متحررًا من برد الشتاء:

الشباب والعذراء مشرقان،

إلى النور المقدس،

عاريان في أشعة الشمس، يتلذذان.

كانا شابين،

مليئين بأرقّ عناية:

التقى في حديقةٍ مشرقة،

حيث النور المقدس،

كان قد أزاح ستائر الليل.

هناك في فجر النهار،

يلعبان على العشب:

كان الوالدان بعيدين:

لم يقترب الغرباء:

ونسيت العذراء خوفها سريعًا.

متعبين من القبلات العذبة

يتفقان على اللقاء،

عندما ينام الصامت

أمواجٌ في أعماق السماء؛

ويبكي المتعبون المتعبون.

إلى أبيها الأبيض

جاءت العذراء مشرقة:

لكن نظراته المحبة،

ككتابٍ مقدس،

ارتجفت جميع أطرافها الرقيقة من الرعب.

أونا! شاحبة وضعيفة!

إلى أبيك تكلم:

يا للخوف المرتجف!

يا للهم الكئيب!

الذي يهز أزهار شعري الأشيب.

إلى ترزة

كل ما يولد من ولادة فانية،

يجب أن يُستهلك مع الأرض

ليرتفع من جيل حر:

فما شأني بك إذن؟

الجنسان انبثقا من العار والكبرياء

انفجرا في الصباح؛ وفي المساء ماتا

لكن الرحمة حوّلت الموت إلى نوم؛

فنهض الجنسان للعمل والبكاء.

يا أم جزءي الفاني،

بقسوة صقلت قلبي.

وبدموع كاذبة خادعة،

قيدت أنفي وعيني وأذني.

أغلقت لساني في طين لا معنى له

وخنتني للحياة الفانية:

موت يسوع حررني.

فما شأني بك إذن؟

إنه يُقام

جسدًا روحيًا.

التلميذ

أُحبُّ الاستيقاظَ في صباحِ صيفٍ،

عندما تُغرِّدُ الطيورُ على كلِّ شجرة؛

ويُلوِّحُ الصيادُ البعيدُ بوقِه،

ويُغرِّدُ معي طائرُ القبرة.

يا له من صحبةٍ جميلة!

لكنَّ الذهابَ إلى المدرسةِ في صباحِ صيفٍ،

يا له من صحبةٍ جميلة!

لكنَّ الذهابَ إلى المدرسةِ في صباحِ صيفٍ،

يُبدِّدُ كلَّ فرحٍ؛

تحتَ عينٍ قاسيةٍ مُرهَقةٍ،

يقضي الصغارُ يومَهم،

في تنهُّدٍ وذهولٍ.

آه! ثمَّ أجلسُ أحيانًا مُنحنيًا،

وأقضي ساعاتٍ طويلةً قلقةً،

ولا أستطيعُ أن أستمتعَ بكتابي،

ولا أن أجلسَ في كوخِ التعلم،

أُنهكُ من المطرِ الكئيب.

كيفَ للطائرِ الذي وُلِدَ فرحًا،

أن يجلسَ في قفصٍ ويُغرِّد؟

كيفَ للطفلِ عندما تُزعجُه المخاوف،

إلاَّ يُرخي جناحَه الرقيق،

وينسى ربيعَ شبابه.

• !يا أبي وأمي، إذا قُطعت البراعم،

وذُبلت الأزهار،

وإذا جُرِّدت النباتات الرقيقة من فرحها في يوم الربيع،

بسبب الحزن والهموم المذعورة،

فكيف سيشرق الصيف فرحًا؟

أو تظهر ثمار الصيف؟

أو كيف نجمع ما تُدمِّره الأحزان؟

أو نبارك العام المُنْضِج،

عندما تظهر رياح الشتاء؟

صوت الشاعر القديم

يا شباب البهجة، ها هم هنا،

ويرون صباحَ البزوغ،

صورة الحقيقة تولد من جديد.

يتلاشى الشك، وتخيم غيوم العقل،

وتسود الخلافات المظلمة والمزاح الماكر.

الحماقة متاهة لا نهاية لها.

تعقِّد الجذور المتشابكة طرقها،

كم سقطوا هناك!

يتعثرون طوال الليل فوق عظام الموتى:

ويشعرون أنهم لا يعرفون شيئًا سوى الهم:

ويرغبون في قيادة الآخرين عندما يجب أن يُقادوا.

صورة إلهية

للقسوة قلب بشري

وللغيرة وجه بشري

للرعب شكل بشري إلهي

وللسرية لباس بشري

لباس بشري، حديد مصبوب

شكل بشري، مسبك ناري.

وجه بشري، فرن مختوم

قلب بشري، مضيقه الجائع.